Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 17:5 (1982

آفـاق الدعـوة الاسـلامية فى القـرن الخـامس عشـر الهجـرى

د . معروف الدواليبى

(قدم هذا المقال فى ملتقى الفكر الاسـلامى المنعقد فى الجزائر فى ١٩٨٠ م)

١ـ وبعد فاننى عندما ألقيت نظرى على جدول الأعمـال الـذى ستدور جوله كل المحاضرات والمناقشات فى « الملتقى الرابع عشر للفكر الاسـلامى » فى الجزائر العاصمة ، كما شرحه لنا معالى وزير الشئوون الدينية السيد بوعلام باقى فى كتاب دعوته للمسـاهمة فى أعمال هذه الدورة ، لم أتردد منذ القراءةالاولى فى اختيار الموضوع الثالث من المواضيع الاربعة ، وهو ((آفاق الدعـوة الاسـلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى)) ، معتبرا أنه الاشمل من المواضيع الاسـلامية الثلاثة التى كان أولها ((الاسـلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة) ، وثالثها (فلسفة التـربية فى الاسـلام) ، تاركا الموضوع الأول حول (الونشـر يس قلعة من قلاع العلم والنضال) لأصحاب المعرفة فيه .

٢ـ غير أن كلمة « آفاق » من عنوان « آفاق الدعوة الاسـلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى » وقد عرضت أمام نظرى « آفاقا » للدعوة الاسـلامية لاحصر لها ، وخاصة وعلى الأقل فى آفاقها العامة

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

التالية .

أولا ..... العقائدية

ثانيا ..... الاجتماعية

ثالثا ..... الاقتصادية

رابعا ..... الثقافيـــة

خامسا ..... الساسيـة

سادسا ..... الانسـانية

سابغا ..... التشـريعية

وكلها آفاق هامة فى الدعوة الاسلامية ،وضرورية ومحببة الى ولا سبيل الى الكتـابة فيها كلها ، لانها تخرجنـى تمامـا عن الوقـت المحدود بثلاثين دقيقة ، فضلا عن ضيق أوقاتى لاعداد هذه البحوث العلمية المتكاملة ، وهذا مايجعلنى لا أشك فى أن الذين سيختارون معى هذا الموضوع من الزملاء الكرام سوف لاتكون أبحاثهم فى أفق واحد ، وفى ذلك ان شاء الله للخير كله ، راجين أن يكون فى بحوثهم المختلفة „ الآفاق فى الدعوة الاسـلامية „ مايجعل منها ثروة علمية فى الموضوع لاغنى لنا عنها .

٣ـ هذا ولقد طالت حيرتى مدة أسبوع لا أدرى على أى أفق أستقر، لولا أن ألهمنى الله أخيرا أنَ أطرق أفقا حيا رأيت أنه الاليق بمطالب عصـرنا الجديد ومشكلات الانسانية فيه . وأنه يصلح لأن يكون مدخلا لكل تلك الآفاق المختلفة للدعوة الاسـلامية فى هذا العصـر ، وذلك من ناحية أن الدعوة الاسـلامية هى دعوة الى الحياة علـى أسـاس السـلام للانسان „ .

٤ـ ولما كانت الحياة الانسانية متطورة مع الزمن ، فانه قد يكون لكل طور من أطوار الحياة على مدى العصور مشكلات وتحديات خاصة به مما يستدعى أيضا معالجة خاصة ، ويساعد على „ آفاق الدعوة الاسلامية „ لمعالجة تلك المشكلات والتحديات فى عصرما .

فما هى مشكلات عصرنا وتحدياته ؟

وهل للدعوة الاسلامية باعتبارها „ دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان „ دور للمساهمة فى خدمة الانسانية ؟

٥ـ وقبل أن أدخل فى الموضوع أريد أن أقول أولا : أن تحديدنا للدعوة الاسلامية . بأنها ، „ دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان „ ليس فيه تزوير للحقيقة ، أو تضخيم ، وانما هو الحقيقة القرآنية نفسها حينما جهر القرآن الكريم فقال الله سبحانه وتعالى فى دعوته الى الاسلام ((يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)) وقال ((والله يدعو الى دارالسلام)) وقال ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها)) واخيرا جعل الاسلام من كلمة ((السلام)) وحدها شعارا للتحية ايناسا للانسان ، وتذكيراله على الدوام بالالتزام الواجب للسلام .

٦ـ ولذلك كله فان الدعوة الاسلامية كانت منذ ظهورها حتى اليوم „ دعوة الى الحياة والسلام للانسان „ لاشك فيها ، غير أنها دعوة الى نوع جديد من „ الحياة الانسانية المتقدمة „ ولا عهد للمجتمع البشرى فى مفاهيمها الاسلامية لا من قبل ولا من بعد وذلك من خلال : الايمان بالله الذى خلق الانسان على الأرض : مسئوولا عن القيام بعمارتها فى ظل السلام للانسان ،

ومكلفا بعبادة الله فيها من أجل سلام الانسان ،

وندعوا الى التعاون فيما بين شعوبها على البر والتقوى لاعلى الاثم والعدوان وعلى أساس من الحرية المسئو لة والكرامة للجميع من غير تمييز بين الاعراق والالوان ، والاجناس ، والأديان ووفقا فى كل ذلك لشريعة الله من أجل سلام الانسان أيضا .

٧ـ وبعد فان تقدم العلوم فى هذه العصور الحديثة وانتشارها السريع اليوم وكذلك تقدم التكنولوجية المتطورة ، قد كان لهما نتيجتان حتميتان هما :

أولا : شعور كل انسان بوجوده ، وبكرامته وبحقه فى الحياة الكريمة من غير تمايز مابين انسان وانسان ، لافى القوميات ، ولا فى الاعراق ، ولا فى الاجناس ، ولافى الاديان .

ثانيا : زوال الحدود بين الامم والشعوب ، وتشابك مصالحها مما لم تعد تصلح معه الحياة فى ظل الانظمة العالمية السائدة والقائمة على التمايز فى الكرامة وفى المصالح الخاصة لدى بنى الانسان .

٨ـ وهكذا فان هذا التقدم السريع فى العلوم وفى التكنولوجية بنتائجه الحتمية المشار اليها قد أوجد مشكلات حيوية حادة فيما بين الأمم والشعوب وقد حرصت منظمة الامم المتحدة على العمل لحلها بكل الوسائل السليمة ، وقد عالجتها معالجة طويلة خلال نحو من خمسة وثلاثين عاما ، أى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، لكن بدون أن تتقدم خطوة نحو السلام ، وذلك على الرغم من أن صيغة تأليف هذه المنظمة عقب تلك الحرب لم تكن الا وسيلة لحل لمشكلات الانسانية ، ولضمان السلم العالمى ، وفقا لميثاق هذه

المنظمة وملحقاته حتى اليوم .

٩ـ ولا يسعنا مع ذلك فى هذا المقام الا أن نسجل لمنظمة الأمم المتحدة اهتمامها الشديد الذى أبداه أعضاء المنظمة بالاجماع فى دورتيها الاستثنائيتين فى عامى ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ م اللتين عقدتا خصيصا للبحث عن حلول سلمية لمشكلات المجتمع الدولى التى أصبحت تنذر بسوء المصير للجميع .

١٠ـ كما لايسعنا الا أن نسجل باعجاب قرارهم الاجماعى الذى انتهوا اليه ، وما قد جاء فيه من صراحة جريئة حيث قالوا : ان المشكلات العالمية الحاضرة لا أمل فى ايجاد حل لشئ منها فى ظلال الانظمة الاجتماعية السائدة اليوم فى العالم ، وخاصة النظام الاقتصادى الخاص بكل شعب ولمصلحته وحده دون مراعاة مصلحة الآخرين فيه .

١١ـ ولقد أكدوا على ذلك بقولهم : ان البشرية قد تقدمت علميا وثقافيا ، وان التكنولوجيا المتطورة قد ازالت الحدود فيما بينهم ، وأنه لم يعد يصلحهم ويليق بهم الانظام عالمى جديد يقوم على قواعد انسانية جديدة ، وقد حددتها منظمة „ اليونيسكو „ بناء على طلب الأمم المتحدة ، وقالت فيها : انها تلك القواعد التى نلخصها فيمايلى، وهى التى :

تدعو الى „ وحدة الأسرة البشرية „ من غير تفاضل ،

وتؤمن بحق الجميع فى الحياة الكريمة من غير تمايز وتعتبر مصالحهم الاقتصادية واحدة ، ولايجوز التفاضل والتمايز فيها لحساب شعوب تعتبر نفسها ممتازة على حساب الشعوب الأخرى .

وأخيرا تدعو هذه القواعد أن نتخذ من „ العدل „ بين الجميع

القاعدة الحتمية لهذا النظام العالمى الجديد .

١٢ـ غير أنه يؤسفنا أن هذه الصرخة المدروسة من قبل الأمم المتحدة فى هيأتها العامة ، ومن قبل منظمتها العلمية „ اليونيسكو „ قد ذهبت أدراج الرياح ، وذلك :

لأنها تحتاج أولا الى „ الايمان بها ايمانا عقائديا „.

كما تحتاج ثانيا الى „ اقامة علم التربية وفلسفتها عليها „ .

اذ لايكفى مجرد الدعوة اليها سياسيا تحت ضغط الاحداث ، ولا التوصية بها فقط كما كان شأن التوصيات بحقوق الانسان الواردة فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

١٣ـ ولما كنا معشر المسلمين نؤمن بها وحدنا „ ايمانا عقائديا „ عملا بعقيدتنا الاسلامية ، لذلك وجب علينا أن نرحب أولا بهذا اللقاء مع الفكر الاسلامى ، كما وجب علينا أن نكون أولى الناس بتأييد هذه الصرخة العالمية الدولية ، وأن نكون أحق الناس بالدعوة اليها بكل حرارة ، وأن نجعل منها أبرز آفاق الدعوة الاسلامية فى هذا العصر للتعريف بالاسلام عن طريق بعض آفاقه الاجتماعية ، وأن نتخذ منها كقواعد اسلامية القواعد الأساسية لنظام المجتمع الانسانى الجديد كما اتخذها الاسلام من قبل ، وأن نبحث على ضوئها عن حلول المشكلات الانسانية فى سبيل السلام على الأرض وأن نتقبل التعاون على أساسها مع من يرغب ، وأن نفتح الحوار من أجل ذلك مع أبعد الناس عنا فى الكفر والقيم ، وذلك من أجل سلام المجتمع والانسان .

١٤ـ واننا اذا تقبلنا الدعوة الى ذلك والحوار فيه فانما ننطلق من

منطلق اسلامى لاشك فيه ، عملا بما جاء فى القرآن الكريم حين دعى أهل الكتاب الى الحوار معهم اعتمادا فى الأصل على نقطة الوفاق معهم رغم أنه على خلاف أساسى معهم فيما عداها ، فقال لهم : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » وذلك اعتمادا أولا على نقطة الوفاق دون نقاط الخلاف ، لأن الخطر على الانسانية أصبح عظيما ، وأن الحاجة الى دفعه بأسرع ما يمكن واجب لاشك فيه فى مفهوم الدعوة الاسلامية وأن التعاون عليه أوجب واكد.

١٥ـ هذا ولايفوتنا فى هذا المقام الذى ندعو فيه الى التعاون فيما بين أبناء البشرية كأسرة واحدة أن ننبه الى خطر التبعية فى الدعوة الاسلامية ، للمذاهب التقليدية الاجتماعية الحديثة التى تسود العالم اليوم ، والتى قد تخطاها الزمن والعلم ، وأعترفت الأمم المتحدة ، وأجهزتها العلمية بعدم صلاحها بعد اليوم لمعالجة مشكلات العالم الانسانى كما مرمعنا من قبل .

١٦ـ ونضيف على ذلك هنا ماجاء فى كتاب « الديمقراطية الفرنسية » الذى وجهه الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان خلال فترة حكمه هذه الى الشعب الفرنسى فقال :((ان الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان ، وتتنكران للحقيقة الانسانية ، وانهما لم تعودا قادرتين على تفسير الواقع ولا على توجيه العمل وانهما تتفلتان بسهولة من قبضة البحث العلمى ، وأن التحيز يغلب عليها الى اليوم أكثر من العقل ، وأنهما لم تعودا تمثلان الوقائع المحسوسة فى مجتمعاتنا الا تمثيلا ضعيفا ، وانهما يتكيفان بصعوبة لايجاد حلول

لمشاكلنا الواقعية ، وأن الموقف الموضوعى يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة،والى البحث عن صيغة جديدة مقبولة)) .

١٧ـ وكذلك نضيف لكثير من الفائدة ما قاله حديثا أستاذ علم الاقتصاد فى احدى جامعات فرنسا الأستاذ جاك أو ستروى، رئيس هيئة علماء الاقتصاد فى فرنسا ، فى كتابه ، „ الاسلام أمام التطور الاقتصادى ، فقد قال هذا الباحث : „ ليس هناك فى الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لابدمنها للتطور الاقتصادى كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة النظر فى النظامين الاقتصاديين السائدين „ ـ (الصفحة ١٦ـ ١٧) ، ثم ألح هذا الباحث الاقتصادى على ضرورة التماس المذهب الثالث فى الاسلام نفسه لأنه ليس فرديا ولاجماعيا ، ولكنه يجمع بين الحسنين .. وكذلك ألح على المسلمين بضرورة العودة الى الاسلام نفسه والى دراسة قواه الكامنة فيه لشق الطريق نحو النهوض عن التقليد الاعمى ـ الصفحة ٨٠ ـ وجاهر بعد ذلك بأن الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، وأنه اذا ما وجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية التى ظهر للاقتصاديين تعذر التغلب عليها حتى الآن ، سوف يحلها الاسلام . الصفحة ١١٢ ـ ثم دعا هذا الباحث المسلمين الى الاسراع قبل فوات الوقت لوضع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم وقواهم الكامنة المبدعة الهائلة ، ثم حذرهم بأنهم ان لم يفعلوا ذلك فسوف يجبرون على قبول تغيرات غير سليمة فى نظمهم الأساسية ، وذلك نتيجة لاتباع منهج فى الانماء مفروض عليهم ، وفى هذه الحالة سيقضى على الاسلام كمنهج حضارى مستقل ، ١١٢ ـ ١١٣ .

١٨ـ ولذلک کله یتوجب الیوم علی الداعیة الاسلامی التأکید علی ذاتیة الدعوة الاسلامیة فی جمیع آفاقها ، وعلی استقلالها ، وعلی کمالها ، وعلی التأکید خاصة علی الجدید فیها الذی لابد منه لتقدم الانسان وسعادته .

١٩ـ واتماما للفائدة فها نحن أولا نشیر بکل ایجاز الی „ الجدید التقدمی فی جمیع آفاق الدعوة الاسلامیة التی أعددناها فی مطلع کلمتنا هذه من حیث آفاقها العقائدیة ، والاجتماعیة ، والاقتصادیة ، والثقافیة ، والسیاسیة ، والانسانیة ، والتشریعیة ، وذلک تأکید علی ذاتیة الدعوة الاسلامیة وحاجة الانسانیة الی الجدید فیها فی کل عصر ، وخاصة فی هذا العصر الذی تقدمت فیه العلوم الکونیة والانسانیة والاجتماعیة ، وأخذ العقل العلمی مکانه فیها فی البحث والحکم کما یریده الاسلام .

٢٠ـ وایضاحا لذلک نقول : أن „ الدعوة الاسلامیة فی جمیع آفاقها المذکورة قد قامت منذ نشأتها علی قواعد ومبادئ جدیدة ، ولاتزال کذلک فی جدتها بکل مافیها من معانی الجدة ، وفی جمیع آفاقها من وجوه الحیاة التالیة الشاملة :

ففی آفاقها „ العقائدیة „ أعلنت قبل أیة أمة من الأمم الحدیثة : حریة العقیدة وعدم جواز الاکراه فیها .

وفی آفاقها „ الاجتماعیة „ أیضا وقبل أیة حرکة تحـرریة فی العالم الحدیث ، شجبت بکل قوة أنظمة الطبقات المتفاوتة فی الحقوق والکرامة ، وأعلنت التساوی فی الحریة والکرامة الانسانیة من غیر تمییز بین انسان وآخر ، لافی الاعراق ولا فی الاجناس ، ولا فی

الاديان .

وفى آفاقها « الاقتصادية » قد فرضت الدعوة الاسلامية كل القواعد الأساسية للنهوض بالاقتصاد العالمى ، وذلك أولا فى «ايجاب العمل » من حيث هو ، وثانيا فى « ايجاب زيادة الانتاج ، وذلك عملا بكثير من الآيات القرآنية فى ذلك ، وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا حين قال : « لو أدرك أحدكم يوم القيامة وفى يده فسيلة ـ شجيرة ـ فليزرعها » ، وذلك حرصا على عدم اهمال الزيادة فى الانتاج لمصلحة الجماعة ، حتى فى تلك الساعات الحرجة التى يذهل فيها الانسان عن مصالحه الخاصة فضلا عن العمل لمصالح الجماعة . وأخيرا فقد فرضت الدعوة الاسلامية « العدالة » فى توزيع خيرات هذا الانتاج بحيث لايكون هناك محروم ، وذلك وفقا لقواعد الاسلام فى العدالة المطلقة فى « الحق بالحياة الكريمة » ومن أجل ذلك أوجب « نظام التكافل فيما بين الجماعة » على أرض الاسلام ، حتى ولو اختلفت بينهم الأديان .

وفى « الآفاق الثقافية » للدعوة الاسلامية قد جعل الاسلام «فريضة العلم » أساسا لهذه الدعوة كما هو معلوم ، وعاقب على تركها ، بينما لايزال موضوع العلم فى عالمنا الحديث المتقدم فى عداد الوصاية ، وحقا من حقوق الانسان لا فريضة علمية كما جاء بها الاسلام .

وأما فى « الآفاق السياسية » فقد فرض « الشورى فى نظام الحكم من غير تمييز ما بين « أقلية » ولا « أكثرية » فى الشورى ولم يأخذ بالرأى فى هذه الشورى اعتمادا على عدد الأصابع المرفوعة ، وانما اعتمادا على التعمق فى الرأى وترجيح الراجح منه وفقا للمصلحة .

وذلك أيضا جديد فى مفهوم الحكم السياسى حتى اليوم .

وأما فى « الآفاق الانسانية » للدعوة الاسلامية فقد كان الاسلام ولايزال أول من أزال الفوارق بين أبناء الانسانية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لافضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود » كما قال « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » مع وجوب مراعاة جميع حقوق الانسان الأساسية من ثقافية ، واجتماعية ، واقتصادية ، تجاه الجميع من غير تمايز .

وأما « فى الآفاق التشريعية » للدعوة الاسلامية ، فقد أقام الاسلام شريعته على أسس عالمية وانسانية ، مع التشديد على مراعاة العدل فيها ولو على الأنفس والاقربين .

٢١ـ وبهذا الاستعراض الوجيز لجميع آفاق الدعوة الاسلامية ، بعد التوسع مقدما فى بعض آفاق الدعوة الاسلامية من الناحية الاجتماعية بالنسبة للعصر الذى نعيشه ، نرجو أن نكون قد أعطينا موضوعنا حقه من الاشارة اليه ، تارة بالبسط وتارة بالايجاز . والله سبحانه وتعالى من وراء القصد .